

وقد أكدت لي هذه الدراسة عدة حقائق منها أن تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر ما زال يحتاج الى دراسات عديدة من الباحثين تزيل ما غشي هذا التاريخ من تشويه وغموض ، وتعظيم الشعور النفسي لدي بضرورة الاستمرار في دراسة الموضوع وإبراز دور الشعب العربي في فلسطين في مقاومة الاستعمار والصهيونية العالمية « (ص ٧) .

والسؤال : اذن ، ما الذي فعله المؤلف ليزيل « ما غشى هذا التاريخ (تاريخ فلسطين) من تشويه وغموض » ؟ وهل استطاع فعلا ان يبرز « دور الشعب العربي في فلسطين في مقاومة الاستعمار والصهيونية العالمية » ، خلال الفترة التي يدرسها وهي تمتد من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ .

قسم المؤلف موضوعه الى خمسة فصول على النحو التالي : الفصل الاول : الحركة الوطنية اثناء الادارة العسكرية (من ١٩١٧ - يوليو ١٩٢٠) . الفصل الثاني : الحركة الوطنية من الإدارة المدنية حتى اقرار صك الانتداب (يوليو ١٩٢٠ - يوليو ١٩٢٢) . الفصل الثالث : الحركة الوطنية في فلسطين من الانتداب حتى اضطرابات ١٩٢٩ . الفصل الرابع : اضطرابات ١٩٢٩ . الفصل الخامس : سنوات التفرغ في أساليب الحركة الوطنية . ونظرة واحدة على هذا التقسيم تكشف عن الاخطاء الاساسية في بنیان هذه الدراسة والتي يمكن اجمالها في ثلاثة عيوب منهجية بارزة وواضحة ، هي :

أولا : قفز الكاتب الى موضوعه دون مقدمات ، فهو يفترض ان القارئ يعرف تطورات الوضع الفلسطيني قبل ١٩١٧ ، ويعرف ما هي الصهيونية ، متى نشأت ، وماذا تريد ، وغير ذلك . قد يقال ان هذه رسالة جامعية تفترض ان كل هذا من قبيل المعلومات العامة والمتاحة كثيرا للمتخصصين بل ، وللقارئ العادي . قد يكون لهذا الرد وجهته اذا ظلت الرسالة في حيز الجرم الجامعي ، ولكن السرد يفقد وجهته ، ويسقط ، عندما تخرج الرسالة في شكل كتاب مطبوع ، ومطروح في السوق ومعروض للقارئ العادي . واي قارئ ، سيبدأ في الصفحة الاولى من الفصل الاول ، لا بد ان يصاب بقدر من الدهشة والمناجاة من هذا النهج غير العادي في الهجوم على الموضوع مباشرة ، ودون مقدمات ،

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية رسالة ماجستير عن « فتح » . وبالطبع فان كل هذه الدراسات والكتابات - سواء ما طبع منها وأنتج لجمهور القراء او ما لم يطبع بعد - ليست على درجة واحدة من العمق والاصالة ، ولكنها في التحليل النهائي تعكس تيارا « علميا » يستحق الترحيب والتشجيع ، حتى تستطيع الجامعات العربية أن تشارك بالدور المأمول فيها ، والمطلوب منها ، لقضية النضال العربي .

واتجاه الشباب المصري الى جعل « قضية فلسطين » موضوعا لدراساته الجامعية يعكس ، في الواقع ، مدى الاهتمام الذي أصبحت هذه القضية تحظى به في مصر ، ولدى الشباب المثقف بصغة خاصة . منذ سنوات - وربما حتى الآن - كان جيبينا يندى بالخرزي ونحن نجد بعض الشباب المصري لا يعرف متى نشأت اسرائيل ! ومن هو رئيس وزرائها ، وما أهم الأحزاب فيها . ان هذا لم ينته بعد ، ولكنه بدأ يتلاشى ، ويتراجع ، لاسباب كثيرة ، لم تكن هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أثلها شأننا ، فقد فتحت عيون المصريين على خطر يترصد بهم في الشرق اسمه اسرائيل ، ابتلع « اخوة » لهم ، ولن يتردد في ابتلاعهم ، وتهديدهم ، والعمل على ابقائهم متخلفين . فقد هزت الهزيمة كيان مصر ، وان كانت هذه الهزة لم تخرج كل آثارها بعد .

ولعل المؤلف قد طرقت هذه النقطة بطريق غير مباشر بقوله : « تفتحت عيناى على أحداث القضية الفلسطينية منذ الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ ... لكن علاقتي بتاريخ فلسطين ترجع الى أكثر من عشر سنوات عندما كنت طالبا بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة أختار من البحوث المطلوبة ما يتعلق منها بفلسطين ، وقد أوضحت لي هذه الدراسة الأولية أنني لم أكن أعرف كثيرا من الحقائق المتعلقة بتاريخ الشعب الفلسطيني ونضاله وتحمله وحده مسؤولية مكافحة الصهيونية في فترة ما بين الحربين العالميتين . ثم أتيت لي في خلال أدائي للخدمة العسكرية أن أمضي فترة في سيناء وغزة ، فشاهدت عن كثب قضية اللاجئين على الطبيعة ، ودعمني ذلك الى متابعة اهتمامي العلمي في دراسة سياسية واجتماعية عن قضية اللاجئين ، نشرتها الدار القومية للطباعة والنشر عام ١٩٦٢ ،